

خواطر في الحرب

للأستاذ محمد عرفة

—*—*—*—

حدثتني من لا أهمها في الحديث أن زوجها بنى بها قبل الثورة للمرابية بقليل ، وكان صغيراً وقد ترك له والده ضيعة واسعة ، فلما كانت الثورة للمرابية وهاجر الإسكندريون إلى البلاد التي يظنون فيها الأمن تزح كثير منهم إلى بلده وكان منهم فقراء وموزون فرأى حاجتهم ، ففرق فيهم للبر الذي أعلنه ضيعة حباً ودقيقاً وخبزاً ، فدخلت على جارتي وذكرن صغر زوجي وما يستلزمه الصغر من السفه ، وأنه فرق غلة اللام على المهاجرين فأعذليه في ذلك ، فإن لم يصح فاشكيه إلى أيك .

قالت : فضله ، فقال : ويك لا أسمع قول الماذلين فشكوتني إلى أبي فقال : يا بني قدري أنك المهاجرة فهل كنت تودين أن يمنع ذوو المروف عنك مرورهم . أو كنت تودين أن يعطوك الفضل من ما لهم وتحقدن على من لم يعط . يا بنيق إن في هؤلاء المهاجرين من كان آمناً في سربه ، معافى في بدنه ، واجداً قوت طمه ، فكفى عن عنده ، فلم يفعل إلا الصواب . هذا رأى أبي فأرأيك أنت ؟ ، قلت : هي رقعة قد ضلوا في صحراء موحشة وقد فقدوا ما هم إلا واحداً قد بقي معه فضل من مائه ، أيجوز له أن يمنه رقته حتى يهلكوا عطشاً ، أم يلزمه أن يعطيهم من فضل مائه ليستمينوا به على قطع الطريق حتى يصلوا إلى الممران ؟ قالت : يلزمه ألا يمنهم ماله لئلا يهلكوا عطشاً ، قلت : وهذا ما فعله زوجك

وقد دار الدهر دورته وجاءت هذه الحرب واضطر بعض أهل المدن إلى الهجرة إلى الريف ، وإن منهم صنفاً تركوا سناقتهم ، وعمالاً تركوا عملهم ؛ فهل من أغنياء الأمة من يكونون لهم كما كان ذلك المحسن العظيم ؟ قد كان في الإمكان أن تقول للحكومة افعل ، ولكننا اغتنتناها فرصة ليرب فينا خلق المحبة والإيثار ، والكرم والإعطاء وروح التضامن والتعاون

إذا كنت رباً للقلوص فلا تدع

صديقك يمسي خلفها غير راكب
أتحها فأردفها فإن حملتها فذاك وإن كان العقاب فمقاب
محمد عرفة

كذلك قلت ، ولم أكن أعرف أن عبد القادر باشا سكت عامين يستعد لإخراج كتابه النفيس « على هامش للتاريخ المصري القديم »

فا هذا الكتاب ؟

هو تحفة من تحف المنطق والعقل والتذوق هو سلسلة ذهبية تربط حاضر مصر بماضيها في ترفق وتلطف ، وتروض المصري على الاقتناع بأنه نشأ في بلد كان المصدر الأصيل لجميع المدنيات

كان ابن العميد يقول : كتّيب الجاحظ تعلم للعقل أولاً والأدب ثانياً

وكذلك أقول في كتاب عبد القادر حمزة أو كتب عبد القادر حمزة ، لأن له أبحاثاً تاريخية سبقت كتابه الجديد ، وهي نماذج حية لقوة الأدب وسيطرة العقل

لا نجد في هذا الكتاب عبارة تشعرك بأن المؤلف يتمسك في تفسير التصوص ، أو يحاول إعطاء مصر ما ليست له بأهل ، وإنما تشمر بأنه باحث صادق يحاول تبيين ما لمصر من مزايا ذاتية بلا ترديد ولا إسراف

ويظهر من كتاب عبد القادر باشا أن المؤرخين متفقون على أن مصر هي مهد المدنية في التاريخ ، وأن هناك آراء في المفاضلة بينها وبين وطن الكلدان الذين كانوا يسكنون أحواض الفرات

معنى ذلك أن الحضارة القديمة مدينة لبلدين اثنين هما مصر والمراق .

ومعنى ذلك أيضاً أن المنافسة بين دجلة والفرات والنيل منافسة أزلية ، وأن للتشابه بين المصريين والمراقيين في الألوان والوجوه ومخارج الحروف له أصول ترجع إلى مئات الأجيال

كنا وكان للمراقيون في التاريخ للتقديم

فتى ترجع إلى للسيطرة على العالم في التاريخ الحديث ؟

« لا حياة مع اللباس ، ولا بأس مع الحياة »

ولا بد يوماً أن تُردّ الودائع ، ولو طال مطال الزمان

ذكي مبارك